

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[11] المرّة الأولى وإنّ إبليس لمعهم". (1) الآية اللاحقة يحذّر فيها الأ سبحانه جميع

أبناء البشر من ذرية آدم من كيد الشيطان ومكره، ويدعو إلى مراقبته، والحذر منه، لأنّ الشيطان أبدى عداؤه لأبيهم آدم، فكما أنّّه نزع عنه لباس الجنّة بوساوسه يمكن أن ينزع عنهم لباس التقوى، ولهذا يقول تعالى: (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبوبكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما). وفي الحقيقة إنّ الأمر الذي يربط الآية الحاضرة بالآية السابقة هو أنّ الآية السابقة تحدثت عن اللباس الظاهري والمعنوي للإنسان (لباس التقوى)، وهذه الآية تضمنت تحذيراً ودعوة له لمراقبة الشيطان والحذر من نزع لباس التقوى عنكم. على أنّ ظاهر عبارة (لا يفتننكم الشيطان) هو نهى الشيطان عن هذا العمل، ولكن أمثال هذه العبارات تعتبر كنايات لطيفة لنهي المخاطب، وتشبه ما إذا خاطبنا صديقاً نحبه قائلين: لا يصح أن يوجه إليك فلان ضربة، أي راقبه حتى لا تتعرض لضربه وأذاه. ثمّ إنّ الأ تعالى يؤكّد على أنّ الشيطان وأعوانه يختلفون عن غيرهم من الأعداء (إنّهم يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) فلا بدّ من شدّة الحذر من مثل هذا العدو. وفي الحقيقة عند ما تظن أنك وحيد، فإنّهم من الممكن أن يكون حاضراً معك، فيجب عليك الحذر من هذا العدو الخفي الذي لا يمكن معرفة لحظات هجومه وعدوانه المباغت، ولا بدّ من اتخاذ حالة الدفاع الدائم أمامه. وفي خاتمة الآية يأتي سبحانه بجملة هي في الحقيقة إجابة على سؤال

1 - سفينة البحار، المجلد الثاني، ص 4 - 5، مادة لبس.